

آراء في الأدب العربي

• البارات الأدبية في العراق

• الزهاوي الشاعر الفاني

الدكتور
يوسف عز الدين



مكتبة لسان العرب

www.lisanarb.com

رقم الهاتف 011 222 2222

lisanarb.com

الزهاوي

مكتبة

مكتبة النخبة

بغداد



مَكْتَبَةُ
لِسَانِ الْعَرَبِ

www.lisanarb.com

'Izz al-Dīn, Yūsuf

...
T
/al-Tayarat al-adabīyah fī al-Iraq/

التيارات الأدبية
في العراق

5
الزهاوي... الشاعر الفلق

N. Y. U. LIBRARIES

مطبعة المعارف - بغداد

1962 - 1381



مكتبة لسان العرب

www.lisanarb.com

رابطه بديل lisanearb.com

Neer East

PJ

7838

Z9

A7

c.1

الى :

الاخ الاستاذ محمد عبدالمنعم خفاجي

وأعضاء رابطة الادب الحديث - في القاهرة

اذ لولاهم لما خرجت هذه المتاضرة الى الوجود

M. Y. U. LIBRARY

مكتبة جامعة نيويورك - مكتبة الشرق

10027 - 10027

تفضلت رابطة الادب الحديث في القاهرة - هذا الصيف^(١) - فدعيتني
للقاء محاضرة عن الشعر العربي المعاصر في العراق ، وبعد المحاضرة ،
اتاحت لي فرصة طيبة ، سعدت فيها في التعرف على مجموعة ممتازة ، من
رجال الادب والفكر في القاهرة . كانت ساعات جنيت منها ألد الاحاديث ،
وريق المسلمات ، اذ انسابت ذكريات الحياة الجامعية الحلوة ، وبحوث الادب
والتاريخ والعلم ، واختالت زاوية ، بأجنحة النسيم العذب الرفاف ، على
ضفاف النيل الحبيب ، فابتسمت راضية . . . مرضية . . .

وقد نشرت (مجلة المعلم الجديد) نصا مقاربا للمحاضرة ، وبعدها
نشرت مقالة (الزهاوي) فرأيت أن تضم الى الاولى لان كثيرا من الادباء
لا يقرأون المعلم الجديد . ويؤسفني ، أن فاتني ذكر بعض الشعراء في
المحاضرة المرتجلة ، واذا اعدت طبعتها فسيكون امرها خيرا منها اليوم .

ولا يسعني الا شكر أعضاء الرابطة الادبية الكرام ، واطمن بالذکر
الاستاذين الزميلين ، عبد المنعم خفاجي ، والاستاذ عبدالله عبدالجبار ، فقد تلطفا
عليّ وألبساني من حلال الثناء والاطراء ما أعجز عن رده ، وأشكر لهم جميل
الضيافة وبالغ التكریم . كما أشكر الاستاذ الفاضل قاسم الخطاط على ما تفضل
به عليّ فيما نشره في الصحف عني وعن المحاضرة فقد دل عليّ كريم الخلق
ورقيق السجایا .

واشكر اولئك الزملاء والزميلات في الجامعة ، وغير الجامعة ، الذين
جاؤا من مسافات بعيدة للاستماع الى المحاضرة ، رغم وقدة الحر ، فقد
غمرتني احاسيسهم ، وهزت نفسي عواطفهم ، فقد برهنوا على صدق الوفاء ،
ومتانة الروح الجامعية .

وأخيرا ما أنا الا طالب علم ، احب الفائدة ، واقبل النقد ، فالمرجو من
اصحاب الآراء الناضجة ، والافكار السديدة ، توجيهي الى الخير والصواب ،
وخاصة ان من نتحدث عنهم من الاحياء .
ومن الله العون والسداد

يوسف عز الدين

بغداد

للمؤلف

- ١ - الشعر العراقي في القرن التاسع عشر بغداد ١٩٥٨ .
- ٢ - الشعر العراقي الحديث ، وأثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه بغداد ١٩٦٠ .
- ٣ - في ضمير الزمن (مجموعة شعر) مصر ١٩٥٠ .
- ٤ - ألحان (مجموعة شعر) مصر ١٩٥٣ .
- ٥ - لهات الحياة (مجموعة شعر) بيروت ١٩٦٠ .
- ٦ - داود باشا (بحث) بغداد .

يعد للطبع

- ١ - الاخرس حياته وما لم ينشر من شعره
- ٢ - تاريخ العراق في القرن التاسع عشر
- ٣ - رواد الشعر العربي الحديث في العراق

التيارات الادبية فى العراق

الدكتور يوسف عز الدين

للتيارات الادبية فى العراق جذور عريقة يذهب بعضها الى القرن التاسع عشر وبعضها الى قرون بعيدة تمتد جذورها الى التراث الاسلامى والعربى فى الصدر الاول .

ويمتاز التيار الادبى فى العراق فى القرن التاسع عشر عن سواه بوحدة الثقافة العامة والمعرفة الادبية ، فجميع الادباء هم من طلاب المساجد والمعاهد الدينية وقد تأثروا بتيارات تكاد تكون واحدة ، وان كان هناك اختلاف فى الانتاج فأساسه عمق الثقافة والذكاء ، وتمثل التجربة الفردية والانفعالات النفسية .

اما ادباء مصر فى الجيل الماضى فقد تفاوتت ثقافتهم تفاوتاً بيناً فمنهم من درس فى باريس وتأثر بالعلوم الاوربية والآداب الفرنسية ، ومنهم من درس فى استانبول أو فى الازهر وتأثر بالمحيط الذى عاش فيه ، وفيهم ابن قرية صغيرة وابن القاهرة ، لذلك كانت الفروق واضحة والمعالم بينة بين كل فئة واخرى ، كوضوحها بين شعر البارودى وعبد الله فكرى مثلا .

اما العراق فنقافة عبد الغفار الاخرس وعبد الباقي العمري وحيدر الحلبي ومحمد سعيد الجوبى لا تختلف عن ثقافة أى شاعر أو كاتب مثل محمود شكرى الألوسى وحسين العشارى . وما اختلاف الانتاج قوة وجزالة الا من باب الفروق الفردية كما يقول علماء النفس .

ويبدو التيار الادبي واضحا في جذوره فقد كانت تمده اربعة روافد
تتحد كلها في مجرى واحد ويصقلها متبلورة ، التفكير الادبي العام •
وأبرز رافد أثر في التيار الادبي في القرن التاسع عشر هو الدين ،
يظهر طورا في رثاء الحسين والدعوة الى محاربة الظلم والطغيان ، وتارة
بالدعوة الى الاصلاح ، وكان (شعر الحسين) زاخراً بالنورة على الاستبداد
ومن شعراء هذا الميدان جعفر الحلي وحيدر الحلي ومحسن الحضري وابن
كمونة وغيرهم • فجاء رثاء الامام الحسين قوى الأداء ، صادق الأحاسيس ،
وفى سمو قدر الحسين ومنزلته العظمى خير نموذج يحتذى في سبيل الحق
والعقيدة والعدل ، فقد قال حيدر الحلي :

عثر الدهر ويرجو أن يقالا تربت كفسك من راج محالا
أى عذر لك فى عاصفة نسفت من لك قد كانوا جبالا
فتراجع وتنصل ندما أو تخادع واطلب المكر احتيالا
ولتقف عند هذا البيت ونسمن النظر بما فيه من معانٍ لطيفة وصياغة
سامية :

فرغ الكف فلا أدري لمن فى جفير الغدر تستبقى النبلا
ولتقف عند بيتين آخرين من شعره فى وصف الحسين وشجاعته
وصبره ونضاله فى سبيل عقيدته وإيمانه بحقه :

تعثر حتى مات فى الهام حدّه وقائمه فى كفه ما تعنرا
كأن اخاه السيف اعطى صبره فلم يبرح الهيجاء حتى تكسرا
ويظهر الشعر الدينى فى مدح الرسول الكرم ، ويركن اليه الشاعر
ترويحاً عن نفس مكروبة ألمها الذل وارهبها القلق والحيرة وأوجعها الفقر
والامراض فيصرخ البزاز قائلاً :

يا غيات الخلق والغيث الذي لم يزل نائله يجرى ارتكاما
كن مجيري من أذى الدهر فقد جردت أيديه للبغي حساما

وقد عاش الشعر الديني على المدائح النبوية في شعر كعب ابن زهير
والبوصيري وابن الفارض ومن هؤلاء الشعراء حسين العشاري ومحمد
شيت الجومرد ونعمان خير الدين الألوسي ، ويدخل في الشعر الديني شعر
الطرق الصوفية كالنقشبندية والقادرية والرفاعية ، فقد خمست قصائد
المدائح النبوية ورصع الشعراء شعرهم ببعض آياتها ، وقد صنع شعراء مصر
مثل ما صنع اخوانهم في العراق كالساعاتي واضرابه ، فقد كان تقليدهم
حرفيا و حاول الشعراء أن يعيشوا في نفس الجو الذي عاشه شعراء المدائح
فوجدنا مثل (رامة ، ولعلع ، وضارج ، والحزامي ، ونجد ، وحاجر) في
شعر ابن بغداد والموصل والبصرة مع انه عاش في المدينة ولم ير هاتيك
الديار ولا تلك الأنار لكي يتبرك بها .

والرافد الثاني هو المديح عامة الذي كان يقدم للسلطان والوالي
والموظفين فهذا شعر يطفح بالذل ويفيض بالهوان والمبالغات الممجوجة .
وشعر هذه الفترة صدى لتردى المثل العليا والحُوف والرعب من الولاة
والحاكمين فاذا كان الحاكم مطلق التصرف نما شعر المديح الذليل في عهده .
لان السلطات الحاكمة شلت مهمة الاديب الانسانية واتخذته اداة من أدواتها
وزينة لمجالسها وحكمها ، ولم تعطه الحرية الكافية وتعترف به انسانا ، فقد
قال التميمي :

من لي بتقيل كف صوب عارضها

يزرى بواكف صوب العارض الهطل

وقال السيد حيدر في مبالغة غير مستحبة :

لو شئت قتل الدهر ثم درى
لقضى عليه قبلك الأجل
ان تتعل قم الملوک فقد
توجهتم بالفخر لو عقلوا
وظأت لك الدنيا بأخصها
هم بساط نعالها القل

أما التيار الثالث فهو تيار المناسبات المعروف والذي يفرضه الفراغ
الكبير فكان الشاعر ينظم قصيدة في وصف دجاجة وقصيدة في استهداء
السعف واخرى في خروج عذار أو بناء غرفة • وهو نفس الجو الذي
كانت تعيش فيه مصر في عصر الجبرتي مع فاروق واحد هو ظهور لمحات
جديدة في الشعر العربي في العراق وجدت في شعر مصر بعد ثورة
عرايى أو قبلها بقليل • والخلاصة ان الشعر كان يلبي رغبة كل طالب كما
كان وسيلة للمصالح الفردية (١) •

الى جانب هذا الشعر كان الشعر الذى ابتعد عن ذل السؤال وترفع
عن الزلفى والتناء الكاذب حيث كان بعض الشعراء ذاكرين العهد العربى
الزاهر مفتخرين بأصلهم العربى ومجدهم العريق ناديين أيام العرب الزاهرة
مقارنين بين تلك الايام وما حاق بهم من فساد وتدهور رغم ان الحكم
العثمانى كان حكما مسلما ، فكان ذلك يبعث الشعر القومى السياسى الذى
شب فى القرن العشرين وسمقت شجرته وارفة الظلال ، وكانت تلك

(١) بصدد الامثلة يراجع الشعر العراقى فى القرن التاسع عشر

ص ١٨٩ وما بعدها •

المظاهر شعورا بالعزة القومية العربية ورد فعل للمعاملة التي عامل بها
العثمانيون العرب حتى تمنى ابن الجميل أن يترك العراق وما فيه ليتخلص
من الذل والهوان • فقال :

علام الإقامة في بلدة نعد بها مثل حمر النعم
وقد وصف الغلامى هذه المعاملة بصورة لطيفة حتى دفعه اليأس الى
الموت فقال :

يا ليتنا متنا قبيل الأذى وقبل هذا الذل والمسكنة
وقد أسف الأخرس أشد الاسف لذهاب العرب وعدم فهم الحاكمين
لشعوره العربي فقال:

أسفي على عمر تقضى شطره في خيبة المسمى الى الآمال
وينات افكار لنا عربية رخصت لدى الاعجام وهي غوالى
يا هذه أين الذين عهدتهم آساد معترك وغيث نوال
كان التيار العربي قويا رغم أن الحكام لم يكونوا من العرب وقد تأثر
الولاة بهذا التيار وحاولوا أن ينصهروا به ، فحاول داود باشا أن يؤسس
دولة عربية في بغداد على غرار دولة محمد علي باشا في مصر وحاول غيره
من الولاة تعلم العربية وأدعى بعضهم أنه ينظم الشعر العربي ، وصاهر
بعضهم العرب ولكن لم تكن هناك وحدة في الرأي ولا وجهة قومية ظاهرة
المعالم •

وبالرغم من مظاهر الانعزال الظاهرة في البلاد العربية الا انها كانت
بلدا واحدا يحكمها سلطان واحد ، وقد كانت بعيدة عن بعضها لصعوبة
المواصلات وما يحف المسافرين من اخطار ، ومع ذلك فقد كانت التيارات في

البلاد العربية تتجه نحو وجهة عربية مشوشة المعالم حتى أعلن الدستور سنة ١٩٠٨ وانتشرت الجرائد فبدأت اليقظة الفكرية في العراق ، اذ استفاد العراقيون من جميع تجارب مصر الفكرية بعد الحملة الفرنسية ، فرأينا الاديب العراقي يقفز ويسير مع الشاعر المصري ، لذلك لم نجد في العراق من مثل دور محمود سامي البارودي واسماعيل صبري باشا لان النهضة وصلت العراق كاملة فتأثر الشعراء بها متأثرين بتيارات الفكر العربي في مصر وسوريا بوساطة الجرائد والمجلات العربية كالهلال والمقتبس والمؤيد والمقطم والمقتطف حيث نشرت قصائد حافظ وشوقي ومطران الى جانب قصائد الزهاوى والرصافي والدجيلي والشيبني وخيري الهنداوي .

ويظهر أثر هذه النقلة في شعر الشعراء ، فاذا قرأنا أول شعرهم وجدناه يعني بالمحسنات اللفظية وكأنه من شعر القرن التاسع عشر ، فيه ترصيع وتخمين وتشجير ورد الصدر على العجز ، وبعدها نجده شعرا يساير النهضة الحديثة من عناية بالمعاني والسهولة والبساطة ، وبذلك جمع الشعر فترتين من فترات مصر فترة الجبرتي التي عنيت باللفظ وفترة نورة عرابي حيث بدأت عوامل التحرر والتجديد تسرى في أعطافه . وبذلك كانت فترة التقليد قصيرة الامد بالمقارنة الى فترة مصر الطويلة .

ولا بد من الاشارة الى أن الشعر العربي في العراق بقيت جذوره الدينية ذات أثر واضح رغم ان الغذاء القومي بدأ يسقى أصوله ، لان الشاعر العربي لم يفصل بين الدين الاسلامي والقومية العربية ، فقد أراد الاصلاح للامة العربية وللاسلام في اطار اسلامي ، خوفا من تقسيم الدولة العثمانية وسيطرة الدول الاوربية الغربية عليها .

وكان من نتيجة هذا الوعي ان سار حتى غير العرب في التيار ولم

يكن الشاعر يرضى أن يسمى غير عربي ، لان ثقافته عربية وتفكيره عربي ، ولم يعامله العرب الا معاملة ابن بار من ابناهم وجزء لا غنى لهم عنه . فقد اندفع الزهاوى والرصافي في تأييد الفكرة العربية مع انهما ليسا من أصل عربي ، فقال الرصافي :

ونحن العرب نأبى غير عز ونطمح في الحياة الى السموك
لانه كان يشعر بأنه شاعر العرب الذي ينافح عن حقوقهم وقال أيضا :
عهدتك شاعر العرب المجيدا لماذا لا تطارحنا النشيدا

وعندما احتل الانكليز العراق كان للادباء اليد الطولى في الثورة عليهم فقد هياؤا الرأي العام للانتفاض على المحتلين ، بما كانوا ينشرونه من مقالات وما كانوا يخطبون به في المساجد أيام الجمع والمناسبات الدينية ويتحدثون به في دواوينهم ومجالسهم ومدارسهم ، وقد كان شعر هذه الفترة مسابقة وطنية تطفح بالالجان الوجدانية المذاب ، التي تهز المشاعر . وقد كان الشاعر يعتمد على اثاره العواطف وعلى الالتقاء ، لذلك فشعر هذه الفترة مثل شعر حافظ ابراهيم من هذا الباب الذي يروعك سماعه ولا تهيجك قراءته . ومن شعراء هذا الباب كثير ممن لا أذكر منهم غير محمد مهدي البصير ومحمد باقر الحلبي وناجي القشطيني وعبد الكريم العلاف ، وقد كان اكثرهم اتساجا الدكتور البصير ، فقد كان شديدا على المستعمرين صريحا في المهاجمة ، حتى نفى الى هنجام مع من نفى من العراقيين . ودعا الى أخذ الحرية أخذا ولا يريد لها منحة من المستعمر ، فقد قال :

وأشق من أسري علي بأن أرى يد أسري يوما تحل ونافي

حدثت الثورة العراقية في حزيران ١٩٢٠ ولكنها لم تصمد طويلا أمام القوات الانكليزية المدربة تدريبا حديثا ، وقد كان رد الفعل قويا في

النفوس فاختلف الشعراء في نتائجها ، كما اختلف ارباب الرأي فيها ،
فمنهم من شمله اليأس ، ومنهم من واصل الكفاح ودعا اليه حتى بلوغ
الحرية والاستقلال ، قال خيرى الهنداوى :

ويك لا أرضى الحياة بذل
قم فمزق اهابها تمزيقا
وأدر لي في الرافدين حميا الـ
حرب صرفاً وكسر الابريقا
ان موتاً يكون في ساعة العـ
ز لموت أجدر به أن يروقا
يا لقومى لقد دهنها الدواهي
وهى تأبى من نومها أن تفيقا

ولم يكن ضد الثورة غير الزهاوى فانه تجاهل الرأي العام وتجاهه
وخطب « برسى كوكس » في محطة القطار قائلا :

عد للعراق وأصلح منه ما فسدا
وابت به العدل وامنح أهله الرشدا
الشعب فيك عليك اليوم معتمد
فما يكون كما قد كان معتمدا
ارأف بشعب بغاة الشرّ قد قصدوا
اثارة الشرّ فيه وهو ما فصدا
أما وقد جئت مصحوبا بمقدرة
فلا أبالى أقام الشرّ أم فعدا
ويذكرني هذا الموقف بموقف احمد شوقى من أحمد عرابى وموقف

الشاعر نسيم من الانكليز •

ولم يهدأ الوطنيون ويكفوا عن المطالبة بحقوقهم وانما كانوا في صراع مرير مع المحتل رغم تأليف حكومة وزراؤها من العراقيين ، ولكن كان الوطنيون يعرفون حقيقة هذه الوزارة وحقيقة البرلمان الذي أسسوه ، وقد برز كثير من الشعراء في هذه الفترة ما بين ١٩٢٠ - ١٩٣٠ ونظموا فيضا عارما من الشعر السياسي الوطني ، وتعد هذه الفترة أخصب الفترات الادبية في الشعر العربي في العراق • ولا بد لي أن أذكر لحضراتكم ان الشعر العربي في العراق خير سجل لحياته السياسية والاجتماعية ، وما يزال •

وقد بقي الشعر سائرا في ركب القضايا الوطنية ولم يخرج شاعر على هذا الاجماع ، فاذا فشلت الثورة المسلحة ضد الانكليز فقد نجحت ثورة التبرم والشعور بالكرامة وضرورة المقاومة ، اذ أن الشعراء أعادوا للشعب ثقته بنفسه بما كانوا يذكرونه له من أمجاد العرب وقوة العرب واتساع رقعة سيطرتهم وبما كانوا يعاملون به الناس من العدل ، ويقارنون بين آباءهم العرب وبين قوى الاحتلال ، فيظهرون المستعمر على مساوئيه ويرزون الصور المشرفة من حياة العرب الذين لا يقلون مجدا وعزة وتاريخا عن أية أمة من أمم العالم ، فقد قال أبو المحاسن يعتز بالعرب :

بقومى أسمو راقيا شرف العلا

وأسطوا بهم يوم الوغى وأصول

هم القوم ، أما عزهم فمشيد

تليد وأما مجدهم فأنيل

أو يقول :

يا ناطقاً بالضاد ما لفضيلة

معنى يتم بغير حرف الضاد

أو ليس عصر النور من آثارهم

قبس لووضح نوره الوقاد

واتجه الشعراء الى السخرية اللاذعة من الوزراء الذين لا يقدرّون

على عمل شيء بدون استشارة المستشار الانكليزي فقال محمد باقر الشيبسي :

قالوا استقلت في البلاد حكومة

فضحكت اذ قالوا ولم يتأكدوا

الحكم حكمهم بغير منازع

والامر مصدره هم والمورد

المستشار هو الذي شرب الطلا

فعلام يا هذا الوزير تعربد

وقد كان الرصافي أشد الشعراء تهكماً وزراية وسخرية من نظام

الحكم القائم ومن وزرائه ونوابه ، فقد قال يصف الوزراء الذين هم آلات

وكتاب عند « برسي كوكس » وغيره من الاجانب فقال :

فوزير ملحق كالذئب في عجز الحماره

ذئب أصبح للحكم به أفبح شاره

وهو لا يملك أمراً غير كرسى الوزاره

يأخذ الراتب اما بلغ الشهر سراره

ورغم المقاومة الشديدة الا أن أساليب الاستعمار وأعوانه تمكنت من اقرار

المعاهدة وفرضها على العراق بعد أن صبغوها بصبغة شرعية مزيفة ، ثم

حدثت ثورة ١٩٤١ وثورته ١٩٤٨ وغيرها من الاحداث التي هي بحاجة

الى دراسة أخرى لا يمكننى أن أجزها فى هذه المحاضرة •

كان للاحتلال الانكليزى أثر بالغ فى يقظة الرأى العام ، فقد فتح
الاذهان على مظاهر مادية جديدة ونظام من الحكم جديد ، وبث فى النفوس
العناد والاصرار على المقاومة والنضال فى سبيل الاستقلال التام ، ونزل
الشعراء مع الجمهور ، وتركت الابراج العاجية خالية ، لرفع شأن الشعب
وخلق جيل قوى يقدر على الجهاد ومواصلة الكفاح •

وقد كانت المشكلات الاجتماعية متشابكة ، فالتأخر ساد جميع نواحي
البلاد ، والوطنيون يريدون شعبا قويا ، ولكن المتحكمين فى البلاد هم من
الدخلاء والانتهازيين ، فوقف الرصافى فى تكريم الريحاني سنة ١٩٢٢
ونفسه تفيض حسرة وألما فقال :

أ أمين جئت الى العراق لكى ترى

ما فيه من غرر العلا وحجوله

عفوا فذاك النجم أصبح أفلا

والقوم محتربون بعد أقوله

اما الحيا فيه فذياك الحيا

لكن مسيل الماء غير مسيله

ولم يصبر الرصافى الا أن يقول ان العميل المستورد وابناء البلاد
الحونة هم أساس العلة فى هذا الوطن ، وقد كان الملك فيصل حاضرا فقام
وترك المجلس عندما قال الرصافى :

من أين يرجى للعراق تقدم وسيل مملكه غير سييله

لا خير فى وطن يكون السيف عند جباهه ، والمال عند بخيله

ولعل من أطرف الأقوال قول محمود الملاح يصف الحالة العامة
التي تقسمها الإنكليز (المسائر) مثل (سمت) و (كوك) فنعوموا بالحيرات
دون أهل البلاد . فقال :

الحير في هذى البلاد مقسم بين (المسائر) من (سمت) و (كوك)
وقد عولجت مشكلة المرأة وحدث حولها جدل شبيه بالجدل الذي قام
في مصر عندما أثار قاسم أمين المشكلة ، وكان كل فريق يتخذ الاسلام قاعدة
للذب عن مذهبه ورأيه ، وبرز الشعراء الذين ناصروا المرأة الزهاوى ،
ففى شعره الكثير من ذلك ، وخلاصة رأيه تلخص فى قوله :

قال : هل بالسفور نفع يرجى ؟

قلت : خير من الحجاب السفور

انما فى الحجاب نيل لشعب

وخباء وفى السفور ظهور

كيف يسمو الى الحضارة شعب

منه نصف عن نصفه مستور

وأجمل شعر وأعذبه لدعاة الحجاب للشيخ جواد النسيبي :

منع السفور كتابنا ونبينا

فاستنطقى الآثار والآيات

تلك الوجوه هى الرياض قد ازدهت

للساظرين شقائق الوجنان

كانت تكتسب بالبراقع خيفة

من أن تمس حصانة الخفريات

واليوم فتحها الصبا فساقطت

بمواطف الاحاظ والقبيلات

صوني جمالك بالبراقع انها

ستر الحسان ومظهر الحسنات

ومن الطريف أن دعاة السفور كانوا يحملون بشدة
وبقسوة وبصرامة ، فهم يطالبون بحرق البراقع وخروج المرأة سافرة ،
اما في مصر فقد كانت المطالبة هادئة تمثل في قول حافظ :

أنا لا أقول دعوا النساء سوافرا بين الرجال يجلن في الاسواق

وقد استأثر الاقطاع والفلاح بجانب كبير من الشعر العربي في
العراق ، فالفلاح العراقي جائع فقير مريض يكد للاقطاعي ويعمل عنده
أجيرا ، وقد هرب الفلاحون من الريف وسكنوا المدن تخلصا من الاضطهاد ،
وكان شيخ القبيلة الذي انقلب الى اقطاعي يعمل جاهدا في سبيل تأخير
تعليم الفلاح وتقدمه ، اذ ليس للفلاح قانون يحميه لنفوذ الاقطاعي وتأثيره
في جهاز الدولة ، وخير من وصف الفلاح احمد الصافي التجففي حين قال :

رفقا بنفسك ايها الفلاح

تسمى وسعيك ليس فيه فلاح

لك في الصباح على عنائك غدوة

وعلى الطوى لك في المساء رواح

هذي الجراح براحتيك عميقة

ونظيرها لك في الفؤاد جراح

في الليل يتك مثل دهرك مظلم

ما فيه لا شمع ولا مصباح

فيخر سقفك ان همت عين السما

ويطير كوخك ان تهب رياح

بفضون وجهك للمشقة أسطر
وعلى جبينك للشقا ألواح
عرق الحياة يسيل منك لآلئاً
فيزان منه للفني وشاح

وقد كان هناك عدد كبير من شعراء الفلاح أبرزهم محمد صالح بحر العلوم
(إذ أهدى ديوانه للفلاح) والجواهرى والحبوبى ، والمظفرى والسودانى
ولعل أطرف أبيات هى قول شاعر فلاح اسمه حسين وهج :

تخذنا من نبات الارض قوتنا
ولم نشبع بمكسبنا البطونا
جهدنا زارعين بكل آن
فلسنا فى المزارع ناجحينا
بذلنا النفس فى جد وجهد
وعند الحاصلات (مفلسينا)

وتقابل مشكلة الفلاح فى القرى مشكلة الفقر فى المدن ، فقد رسم
الشعر صوراً رائعة خالدة ، ولا يكاد شاعر من شعراء بغداد الا يكون قد
نظم فيها ، وعلى رأس هؤلاء معروف الرصافى ، ففى ديوانه جزء ضخم
عالج فيه المشكلات الاجتماعية عامة والفقر بصورة خاصة ، وقد عالجهما
متأثراً بالتعاليم الاسلامية ، معتمداً على ارهاب الناس بالنار وعذاب اليوم
الآخر داعياً الى انصاف الفقراء والارامل واليتامى ، يطرى الاحسان
والمحسين ولم يكن نائراً فى دعوته وانما كان هادئاً يرسل القول رخياً
سهلاً ، فهو يطالب بالاصلاح بحكاية يحكيها أو رواية يرويها واستدرا
عطف الناس فيما بين حوادثها وسطورها فيقول :

ايها الاغنياء كم قد ظلمتم نعم الله حيث ما قد رحمتكم
 سهر البائسون جوعا ونتمم بهناء من بعد ما قد طعمتم
 من طعام منوع وشراب
 كم بذلتهم أموالكم في الملاهي وركبتم بها متون السفاه
 وبخلتهم بحق الاله أيها الموسرون بعض اتبناه
 أفقدرون انكم في تباب

هذه هي الملامح العامة للشعر العربي في العراق وقد اتخذته قاعدة
 للبحث عن الادب كله لان النثر في العراق لم يستكمل نضجه ولم يصل الى
 ما وصل اليه الشعر ، اما القصة فلا تزال بحاجة الى سنوات أخرى لتصل
 الى المستوى العالمي رغم وجود بعض كتاب القصة في العراق .

ولا يزال الشعر في العراق ينمو وتفتح كل يوم ازاهيره عن ألوان
 جديدة ، ولا يمكنني حصر الشعراء ، غير أنهم من الكثرة ما يخبر بأن
 الشعر العربي في العراق لا يزال بخير . وممن لم استشهد لهم : علي
 الشرفي ومحمد علي الجبوي وبهجة الاثري وحافظ جميل ونعمان الكنعاني
 وعلي الخطيب واكرم احمد وعبد اللطيف الشهابي ومحمد بسيم الذويب
 وصفاء الحيدري وعبدالحسن زلزلة وعبدالقادر الناصري وخضر الطائي
 ومهدى مقلد وعبد الرزاق محيي الدين والازري والدجيلي وبدر شاكر
 السياب وشاذل طاقة وكثير غيرهم لا أحفظ شيئاً من شعرهم .

وقد امتاز العراق بظاهرة جديدة هي بروز عدد من الشاعرات مثل
 نازك الملائكة وعاتكة وهبي الحزرجي واميرة نور الدين وفطينة النائب وليعة
 عمارة واخيرا من الطالبات آمال الزهاوي .

وهناك كتاب للمقالة والمسرحية الا أن هذه الفنون الادبية تتضائل تجاه

نموخ الشعر العربي ، وقد تركت الحديث عن الشعر الحديث لانى لست من المؤمنين بكثير مما انتج منه ، ثم لأن فيه الكثير من الحور والضعف ، وان الكثير منه بعيد عن الشعر وموسيقاه .

وقد ظهرت بعض المسرحيات الناجحة فى الشعر مثل مسرحيتى الاستاذ خالد الشواف : الاسوار وشمسو . ومسرحيتى الاستاذ خضر الطائي : قيس لبنى واهل الكهف . ومسرحية مجنون ليلي لعاتكة الحزرجى ، كما ان المرحوم عبد الستار القرغولى امتاز بنظم عدة مسرحيات للاطفال بعضها من التاريخ العربى وبعضها من قصص لافونتين .

ولعل السير على الاسلوب العربى الاصيل هو أهم مظهر من مظاهر الشعر ، فأكثرية الشعراء لا تزال تؤمن به مع تجديد فى المعانى والاساليب والاخيلة ، ويدخل فى نطاق هذا اكثر الشعراء . وقد امتاز هؤلاء الشعراء بالنغمات العربية الاصيلة من اسلامية وعباسية .

ويتطور الشعر لدى الشاعر تبعا لثقافته وعمره ومقدار نفعه الفردى وأثر المعانى العامة فى نفسه ، ولو دققنا فى شعر كل شاعر لوجدنا تمثل التجربة الفردية ومقدار هضمها بالنسبة الى غيره من الشعراء وهذا أمر طبيعى فى النفس الانسانية .

واخيرا ارجو المعذرة والعفو عن كل تقصير وخلل .

والسلام عليكم ورحمة الله .

(*) أقيمت فى رابطة الادب الحديث فى القاهرة .

الزهاوى . . . الشاعر الفلق

للدكتور يوسف عز الدين

١ - عصر الزهاوى :

عاش الزهاوى فى عصر فلق مضطرب اهتزت مثله وتقاليده وعاش بين قرنين متغايرين ، القرن التاسع عشر الحامد المتحجر ، والقرن العشرين المضطرب المتوثب فقد شاهد الهدوء والثورة وتأثرت نفسه المرفهة الشاعرة بالنقلة الجديدة .

فقد عاش فى العصر التقليدى الموروث ، وما فيه من ركود وهمود ، ورأى عصر الدستور العثمانى وما صاحبه من ضجة حين اعلانه وفرحة عند نشره ، وأحس بالحنية التى اعتورت الناس عندما استأثرت جمعية الاتحاد والترقى بالحكم وبالخيرات دون أن يكون لشعوب الانبراطورية العثمانية أى نصيب . ثم كانت النتيجة تقسيم الامبراطورية العثمانية ودخول الحلفاء بلاده ، وما جر هذا الاحتلال على البلاد من ويلات وثورات جرت الى تأسيس دول وامارات ، وكان العراق أحد هذه الدول . ولم يرض العراق بالاستعمار فثار ثورته سنة ١٩٢٠ وكان من جرائها دخول الملك فيصل العراق وسلسلة من المعاهدات كان يفرضها الحاكمون ويرفضها الوطنيون

انه عصر حافل بالاحداث السياسية . .

وقد صاحبت هذه الاحداث ، أحداث فكرية واجتماعية هزت المجتمع ، وفتحت الاذهان على مثل جديدة ، واكتشافات حديثة ، وآراء غريبة عن

المجتمع ، فقد أخذ المثقفون يتحدثون عن نظرية النسوة والارتقاء ، وعن دارون ، وعن الديمقراطية ، والاشتراكية ، والفاشية ، وغير ذلك من التعابير الجديدة والمفاهيم الغريبة . . . وسمع الناس صيحات تطالب باطلاق حرية المرأة ، ومساوتها مع الرجل وكان من جراء الحرب الاولى مطالبة الشعوب الضعيفة بالحرية والاستقلال وتقرير حق المصير ، ونشر مبادئ ولسن المعروفة . . . (١) .

انه عصر طافح بكل جديد وموار بكل حديث وحديث . . .

وقد كان لهذه الآراء ، وهذه الاحداث صداها في النفوس وفي التفكير ، فأخذ بعض المفكرين في مؤازرتها ونشرها بين الناس ، ونشطت بعض الآراء لمقاومة هذه التيارات الجديدة ولم يكن النشاط أو المقاومة وقفا على امة من الامم أو على جانب من الكرة الارضية ، فقد تغنى العرب بالحرية وتغنى بها احرار الاتراك مثل نامق كمال وكان القصد ايقاظ الامم من سباتها الذي طال أمده ، واذا نادى قاسم أمين بتحرير المرأة في مصر فقد كان صدى هذه الدعوة يتردد في جنبات العراق ، وحدث فيه ما حدث في مصر من تأييد للفكرة ومعارضة قوية لها (٢) .

وقد شهدت الدنيا حركات عنيفة وثورات سياسية واجتماعية ، واجتاح التيار القومي أكثر بقاع العالم ، وكان من أثر هذا التيار ابتعاد العرب عن الدعوة الى الجامعة الاسلامية ، ونشاط انصار الجامعة الاسلامية لتأييد دعوتهم

(١) الشعر العراقي الحديث . . . فيه تفصيل واف طبع في بغداد

١٩٦٠ .

(٢) المصدر نفسه ص ٢٥٠ وما بعدها .

والذب عنها بالخطب تارة وبالكتب مرة أخرى^(٣) وبالدعوة الى احياء
مجىء القرآن الكريم والسير تحت راية الدولة المسلمة التى أخذت تهاجم
من الكفار واعداء الدولة الكافرين .

وفى هذا العصر تظهر الدعوة القومية العربية قوة عارمة يصحبها
دعوة الى انشاء انبراطورية عربية تضم شمل العرب فى أقطارهم المختلفة ،
فتداعب أحلام العرب وتبسم آمالهم وأمانهم لاستعادة الامجاد العربية
القديمة ، فبعثت هذه الدعوة القوة فى النفوس والعزيمة فى مناهضة الاجنبى
مستمدة من التاريخ العربى والاسلامى روح الكفاح والجهاد ، خاصة وأن
الدستور العثمانى قد أعلن على أسس الحرية والعدالة والمساواة بين شعوب
الانبراطورية العثمانية فيتألف حزب جديد من اعضاء مجلس الامة
(المبعوثان) العرب باسم الحزب العربى^(٤) لرعاية حقوق العرب فى البلاد
العربية وغير البلاد العربية .

وفى مثل هذا العصر تظهر روح المجازفة فى روح ابنائه ، وتظهر
الرغبات الكامنة فى النفوس فيسير بعضهم فى ركاب الحركة الجديدة ،
ويعترى آخرين اليأس والحيرة لانهم لم يفوزوا بأمانهم . وفى مثل هذا
العصر تهيمن الفوضى الفكرية ويظهر القلق الروحى والاضطراب النفسى
بين الافراد ، لانهم يرون مثلهم التى عاشوا عليها قد انهارت امام أعينهم .

(٣) اصدر حبيب العبيدى (حبل الاعتصام فى وجوب الخلافة فى
دين الاسلام) بيروت ١٩١٦ راجع ص ١٠٢ .
(٤) تراجع جريدة المفيد وجريدة صدق بابل ففيهما تفصيل عن
الحزب العربى .

وقد كان أثر هذا القلق ظاهراً على شعراء العرب فانعكس في شعرهم (٥٠).

٢ - الزهاوى والعصر العثماني :

وقد كان موقف الزهاوى واضحاً فقد آزر السلطان عبد الحميد ومدحه والف كتاب (الفجر الصادق) يدعو الناس الى الجامعة الاسلامية لان الفكرة الاسلامية كانت مهيمنة بسيطرة الدولة العثمانية ، ودعا الناس للسير تحت راية العثمانيين واعتبر من لا يسير تحت هذه الراية ملجداً أو كافراً وباغياً وهاجم الحركة الوهابية واعتبرها حركة الفرقة الهالكة لانها نسقت عصا الطاعة على الدولة العلية وأوجب تدمير هذه الفرقة التي نقضت بيعة السلطان وخرجت على طاعته . ودعا صراحة الى أن شروط الخلافة ليست ضرورية ولم يكثر بالشروط التي وضعها المسلمون للخليفة من العلم والفضل والخلق (٦) لأنه كان يريد ارضاء السلطان ويخشي شره ويتقى أذاه (٧) ولكن هذا الخوف أخرجه عن مثله العليا اذ خلق من السلطان

(٥) يراجع الشعر العراقي الحديث - للكاتب - ص ٣٢ - الى آخر الفصل والفصل الثاني بصدد الامثلة .

(٦) الفجر الصادق ص ١١ راجع المقدمة طبع القاهرة ١٩٠٥ والشعر العراقي الحديث ص ٢٥ وما بعدها .

(٧) في نسخة السيد هبة الدين الشهرستاني حاشية كتبها السيد هي (وقد اعتذر لدى مما صدر منه في صدر هذا الكتاب بانه آلفه مخافة استبداد عبد الحميد واضطهاده له) والتوقيع في ٢٤ شوال ١٣٣٤ بغداد وعنوان الكتاب (الفجر الصادق في الرد على منكري التوسل والكرامات والحواري) وكتب فيه (تأليف علامة العراق ونابعته بالاجماع والاتفاق من هو لكل فضل حاوي حضرة جميل افندي صدقي الزهاوى) وقد قرضه (ذو الادب الوافي معروف افندي الرصافي) بقوله :

هذا كتاب فيه يتضح الهدى علنا فتسطع للعقول حقائق
يا ظلمة الشبهات والكذب انجلي فلقد بدا للحق فجر صادق

عبد الحميد انسانا شبيها بالاله ، فجعل جميع تصرفاته فوق الشك وسياسته
المثل الاعلى التى يجب أن تحتذى وبعزمه وحده يحفظ الاسلام ، وبقوته
ينشر الاسلام • فقال فى افتتاح (فصل يلدز) :

سلام البرايا فى كلاة احمد بيلدز لا يغفـو ولا يتغيب
وان امير المؤمنين لوابل من الغيث منهل^٨ على الخلق صيب^(٨)

وقد افتتح فصل (الخليفة الاعظم ايدى الله) بقوله :

سياسة مولانا الخليفة مخدم 'يقـل' به الامر العسير ويحسم
لقد سعدت آمننا بلاد وسيعه بعدل أمير المؤمنين تنظم
لقد دام محفوظ الجناح ماآثر اضاءت على الآفاق منهن انجم
وقد بعث الله الخليفة رحمة الى الناس ان الله للناس يرحم
ففى عهده قد أصبح الملك عامرا به الامن يزهو والامانى تبسم
هو الملك البر الرؤوف بامة أنار هداها والامام المعظم
اقام به الاديان اركان دينه فليست على رغم العدى تهدم^(٩)

وقد كان شعراء هذا العصر وما قابله يعتبرون الخليفة العثماني رمزا
للوحدة الاسلامية وكانوا يشيدون باخلاقه وفضائله ويرفعون ذكره وجعلوه
ظل الله فى أرضه فهو الذى يحمى بيضة الدين ويدافع عن المسلمين ويقاتل
المشركين والكافرين^(١٠) وكان الزهاوى أحد هؤلاء الشعراء وسار على
ما تقضيه امور السلطة •

(٨) الفجر الصادق ص ٣ •

(٩) المصدر نفسه ص ١٠ •

(١٠) يلاحظ (الشعر العراقي فى القرن التاسع عشر) - للكاتب -

فصل مدح السلطان بصدد التفصيل •

٣ - احتلال العراق :

وتوالى الاحداث على العالم العربي ويحتل العراق ، وتظهر دعوات جديدة فيه من أجل نظام الحكم المقبل في ظل الاحتلال ، فقد قامت جماعة تنادى ببقاء الانكليز في العراق وقامت جماعة اخرى تدعو الى الجمهورية ونادت جماعة اخرى بالملكية واختلفوا فيمن يحكم البلاد هل النقيب ام الشيخ خزعل ام أغا خان ورشح آخرون أحد ابناء الحسين وقد كان مصير البلاد بين حفنة من الناس لا تهمها غير مصالحها تتنازع بعيدة عن الشعب وعن غاياته واهدافه ولا يعرف الشعب عامة بما يحدث وما تتقاذفه من التيارات . وفي هذا الحضم الزاخر بالاحداث تطالعنا جريدة العرب التي كان يصدرها الاحتلال بقصيدة بتوقيع (شاعر عربي) يقول فيها الشاعر المتخفي :

احب الانكليز واصطفئهم لمرضى الاخاء من الانام
جلوا في الملك ظلمة كل ظلم بعدل ضاء كالبدر التمام

ويهاجم الاتراك مهاجمة عنيفة ويذكر ما سبهم وكيف انهم سلبوا حقوق العرب ويندفع بحماسة وحرارة ويقول :

تبصر أيها العربي واترك ولاء الترك من قوم لثام
ووال الانكليز رجال عدل وصدق في الفعال وفي الكلام
وانت تسومك الاتراك خسفا وتسلب من حقوقك باهتضام^(١١)

ولما بحثنا عن قائلها وجدناه الزهاوي فقد نظمها ونشرها في ديوانه الكلم المنظوم سنة ١٩٠٩ ولم تكن نلومه لولم يعد سبها ونشرها سنة

(١١) جريدة العرب سنة ١٩١٨ والكلم المنظوم ص ١٤ طبع ١٩٠٩.

١٩١٨ (١٢) ويعجب القارىء كيف وقف من الاثراك هذا الموقف وانقلب عليهم .

لا شك ان القلق النفسى الذى استحوذ على الشاعر هو الذى دفعه الى هذا التناقض دفعا . فقد كان الزهاوى مكرما وكان عزيزا وكانت له منزلة سامية رسمية ، زمن الدولة العثمانية وعندما دخل الانكليز العراق خشى ان يفقد مكائنه وخشى اذى السلطة الجديدة الحاكمة وقد هدد فعلا بالاعتقال باعتباره من رجال الدولة العثمانية المرموقين وبالنفى الى الهند لكنه اثبت انه كان مراسلا لجريدة (المقطم) الموالية للانكليز فعفى عنه . ولكنه لم يصل الى ما وصل اليه فى العهد العثمانى وانما اهمل شأنه ، وبذلك كبتت فى نفسه غريزة التقدم والظهور فى المجتمع الجديد، وفقد غريزة التأكيد على النفس . كان رد الفعل فى نفسه عميقا ، وكانت معركة حامية الوطيس ، بين موالاة السلطة الجديدة وبين التأكيد على الذات ، فغلبته الغريزة لان جذورها كانت عميقة فى نفسه وتطمئن رغباته . . . لم لا يحصل على مركز اجتماعى اعلى من المركز الذى حصل عليه فى الدولة العثمانية ؟ فقد كان نائبا عن بغداد ونائبا عن المتفق ، ولم تكن فى العراق مناصب مرموقة تمشى وغروره غير الوزارة . فلم لا يكون وزيرا فى وزارة النقيب الاولى ، وقد أصبح فيها وزير من لا يساويه فى العلم والشهرة والمقام الاجتماعى ؟ ! ان عدم حصوله الى ما تطمح اليه نفسه كان اهمالا لقدره وطعنا فى ذاته ، وتجاهلا لمكائنه ، فظن الزهاوى بأنه أصبح كماً مهملا وانه سيفقد احترام الناس وتقديرهم له . والمرء حريص على تقدير المجتمع واحترامه ، وعدم حصوله على المنصب الرسمى معناه اندحار واحتقار له ، فتسرب القلق الى نفسه والخوف الى ذهنه .

(١٢) الادب العصرى ج ١ .

كانت معركة نفسية انتصرت الغريزة فيها ودفعته الى مدح الانكليز
ونسيان كل ايام الاتراك ومناصبهم في البرلمان أو في تحرير جريدة الزوراء
الرسمية ، أو في حصوله على الوسام المجيدى (١٢) .

كان الزهاوى رحمه الله يتدفق حيوية ونشاطا وكان شابا متوثبا
رياضيا يقتصب اعجاب الاقران ويتفوق عليهم (١٣) فقد ألفت نفسه التقدم
صغيرا لنشاطه وذكائه ، وحاطت به هالة من التقدير والاحترام لانه كان
ابن مفتى بغداد وزادت مكانته الرسمية عندما فاز بالنيابة في البرلمان العثماني
مرشحا عن جمعية الاتحاد والترقى وهى السلطة الحاكمة . فالقوة والمركز
الرسمى ومركز الاسرة ، أمور أكدت ذاته حتى انه برز بين اخوانه نواب
العراق وتميز عنهم عندما تبنى القضايا العربية وطالب بجعل اللغة العربية
لغة رسمية في العراق أسوة بما هو في الشقيقة العربية سوريا (١٤) فنال
التقدير والاحترام وحف النواب العرب وغيرهم به تقديرا واعجابا .

أراد الزهاوى أن ينال مثل هذه المكانة في هذا العهد بعد أن تفرقت
اشلاء الأبراطورية ودخل العراق في حوزة الانكليز . وقد أراد اثبات
ذاته فهرع الى المحطة مع الناس ووقف خطيبا في استقبال حاكم العراق
السير كوكس وأوغر صدره ضد الثورة العراقية (١٩٢٠) وكانت في أتونها
تسعر . كما ساند عبد الرحمن النقيب وحزبه (الحر المعتدل) وانضم اليه
كما انضم من قبل الى الاتحاد والترقى آملا أن يحوز منه ما حاز في الماضي ،

(١٢) الادب العصرى ج ١ .

(١٣) رسائل الزهاوى نشرها في مجلة الكاتب المصرى .

(١٤) نص أقواله في مجلس المبعوثان مترجمة في شخصيات عراقية

للاستاذ خيرى العمرى ص ٦٩ و ٧٠ .

غير ان سياسة الحزب لم تكن على أسس شعبية وما استهدفت مصالح الشعب لانها كانت تسند عبد الرحمن النقيب الذي استند عليه الانكليز لجعله واجهة يسترون وراءها في حكم العراق ، مقتنمين كبر سنه وسمعة اسرته الدينية ومنزلتها بين الناس ، ولكنهم سرعان ما نبذوه لانه لم يسر في الخط الذي كانوا يرسمونه له ، ووجدوا من يقوم بخدمتهم وخدمة مصالحهم .

كان الزهاوى يتربص قلقا واجفا الحصول على وظيفة وقد رضي عنه الانكليز واعتبروه شاعرهم^(١٥) وجاء عبد المحسن السعدون زميله في مجلس المبعوثان الى الحكم فعينه سنة ١٩٢٥ عضوا في مجلس الاعيان .

تظافرت كل عناصر القلق على الزهاوى تقدم في السن ، وخور في القوى ، وامراض وشلل ، وبدت أعراض المرض تقوى وتشد عليه فلا يكاد يمشي منفردا خوف الاكباب والسقوط . وخيبته من الملك فيصل عندما هرع يحيه بقصيدته المشهورة :

انا محبوك فاسلم ايها الملك ومصطفوك لعرش زانه الفلك

ويهدى ترجمته لرباعيات الحيام له فيُطلق عليه شاعر الملك، ويخصص له راتب قدره ستمئة روبية يرتفع الى ثمانمئة ، فيرفض الزهاوى ، لانه لا يريد أن يكون مجرد زينة في البلاط وانما يريد أن يكون له مقام اجتماعي ومركز رسمي يشعر بذاته وبكيانه وبقابليته وقال انه لم يرفض

(١٥) لاحظ مذكرات (مس بل) المطبوع في لندن سنة ١٩٢٧ الصفحات ٥٦٢ و٥٩٣ و٦٠٦ فقد جاء في الصفحة ٦٠٦ ما معناه (ثم نهض شاعرنا الكبير الذي طالما اخبرتك عنه - جميل الزهاوى) وص ٥٦٢ بشأن خطابه في قدوم كوكس .

استكبارا وانما الشاعر الاجير لا يمدح عن شعور^(١٦) والواقع ان الزهاوى
اعتذر ، مع انه بالغ فى المديح وأوغسل فى الزلفى لانه يريد أن يكون
مرموقا ويريد أن يكون فى عمل يحترمه فيه الناس لا أن يكون زينة •
أراد الزهاوى أن يصل ويصل بسرعة فهادن الانكليز وسار مع
الحزب الحر وهاجم الاتراك طمعا فى اثبات ذاته وتأكيدا لشخصيته ، فأضاع
الوفاء الذى حفظه الرصافى للعثمانيين •

٤ - ثورة الزهاوى :

ولما لم يتحقق للزهاوى حلمه رفع راية التمرد لاثبات ذاته ولتأكيد
شخصيته فدعى الى تحرير المرأة بالعنف وبالقوة ودعا الى الفلسفة والى
الاخذ بنظرية دارون وحشر نفسه فى أمور كثيرة مثل نظرية الجاذبية
وألف فى الداما وفى الطير القلاب^(١٦) وغيرها من الامور لكى يثبت انه
عبقري وانه فيلسوف وانه عالم وانه يأتى بما لم يأت به غيره من الاقران •
والواقع ان دعوته الى الفلسفة وتحرير المرأة وما طالب به لم يكن الا
اندحارا نفسيا للتأكيد على الذات فقد توهم بانه مندحر والانسان حريص على
أن يكون محترما وأن يكون محفوقا بالتقدير والفوز لذلك لما توهم بهذا
الاندحار توهم بانه أهين وان كرامته قد جرحت لذلك شكوا بكل حرقرة
ولوعة للاستاذ احمد حسن الزيات واستجداء الاحترام عندما قال له (أذيب
عمري فى شعري والامة تقذفنى بالبهتان والحكومة تخرجنى من مجلس
الاعيان ••) فحسب الشعب والحكومة ضده فكان صدى هذه الحية ثورة

(١٦) راجع الكاتب المصرى ص ٤٦٥ العدد ١٥ السنة الرابعة

في شعره يعصرها الالم فقال :

افتحوا للفتى الهظيم الطريقا فلقد جاء بزبر حنيقا
رافعا راية التمرد تهفو حاملا من يراعاه منجيقا^(١٧)

أرأيت أشد قسوة من هذه الثورة التي تريد أن تدمر عمياء كالمنجيق
دون وعى لتطفىء غلة الزهاوى الذى لم يفتح له الطريق والذى منع من
اثبات ذاته وفرض شخصيته فظن انه منع من التقدم وانه لم يقدر حق
قدره فقال :

ايها الدائسون بالرجل حقى ليس حقى بان يداس حقيقا
قل لابناء يعرب ان فى القبر أباكم يذم هذا العقوقا
أخذت آمالي تضيع واخشى اننى لا أرى لها تحقيقا

لم ينل الزهاوى ما يريد فسخط وثار وتآلم لانه رأى غيره يتقدم فى
مناصب الدولة وقد تأخر عنها هو وبذلك لم تشبع رغبته فى التقدم واثبات
ذاته والتي برزت كثيرا فى شعره .

وللحق والتاريخ ان الزهاوى كان أحسن بكثير ممن تسنموا وظائف
الدولة المرموقة الثقافية منها وغير الثقافية ولكن اندفاع الزهاوى وتقلبه
السريع وعدم رزاقته ، حوائل حالت دون وصوله الى ما يريد ، فقد فت
فى عضد الوطنيين خلال الثورة العراقية . ثم راح يرثى الشهداء ثم هاجم
الدخيل ومدح الاتراك ثم هاجم الوهابية ثم مدح الملك السعود
• الوهابى

ولما رأى احلامه تنهار انكمش على نفسه وندب ايامه فى ظل الحكم

(١٧) الاوشال ص ١١٤ .

العثماني مستغفرا لما قدمه قاتلا والحسرة تملأ قلبه :

ابن عزي في دولة الاتراك انا مما فقدته انا باكي
كنت بالامس راضيا عن حياتي وانا اليوم من حياتي شاكي (١٨)
ول يظهر قدرته وتبرمه وليثبت ذاته فسمى القصاصد التي نظمها في
الملك (المطروحات) ولسان حاله يقول :

قد مدحت الذين لم يستحقوا مدائحي
احسبوها على ضرور تها من قبائحي
وتطول بالرجل ايام الانتظار فيرثي له اخوانه ويؤمنون له الفوز
ولكن تطول ايام الانتظار فيقول :

يقولون صبراً يا جميل على الذي
أصابك من ضيم واني لي الصبر
ولا بد من حرب على من تعصبوا
علي فأردى أو يفىء لي النصر
وكل امرء يسعى الى المجد جاهداً

ولكن طريق المجد أكثره وعر (١٩)

وأراد أن يكسب الرأي العام ويؤكد اهميته فأعلن انه سيهاجر وانه
يترك العراق لانه لم يأخذ المكانة اللائقة به فقد أضناه العذاب وارهبه
الاهمال ، وهاجم الدخيل الذي يستفيد وحده من خيرات وطنه وقال :

اني على الاوطان انفق مهجتي
اما الدخيل فأني شيء ينفق

(١٨) الاوشال ص ١١٤ .

(١٩) الاوشال ص ١١٣ .

قد يسكت المهضوم الا زفرة

منه والا عبرة تترقرق^(٢٠)

هذا القلق كان كما رأينا نتيجة من نتائج المجتمع نفسه أثرت على الزهاوى نفسه وهو غريزة يصاب بها كل انسان وشدة الحرص نتيجة لما يعنور النفس الانسانية وخاصة اذا كانت تتعلق بالمركز الاجتماعى لانسان تمتع بهذا المركز وأحيط بالاحترام والتقدير وقد صورت نفس الزهاوى الفلقة آلامه أكثر من واقعها لرهافة حسه فظن الامر على غير حقيقته فقال :

قد تعذبت فى العراق كثيرا

كنت فى حبه أفاسى سعيرا

والذى فيه قد أطال عذابى

كان خصما على عذابى قديرا^(٢١)

وقد تصدت احدى الجرائد عندما أعلن رأيه له وقالت انه عندما طلب جواز السفر منحه الحكومة اياه مع راتب لمدة سنة فأسقط فى يديه ولم يسافر الا بعد ثلاث سنين^(٢٢) فهل أراد أن يثبت ذاته للسلطة فلم يفلح فقال :

ان اعدائى فى العراق كثير

كلهم فيه آخذ بخنأى

ساولى ربوع بغداد ظهرى

تاركا خيرا لاهل النفاق

(٢٠) الاوشال ص ٣ .

(٢١) الاوشال ص ٦٧ .

(٢٢) جريدة شط العرب سنة ١٩٢٤ .

وتتجلى رغبته النفسية ومقدار ما يريد له لنفسه في قوله :

قد رحلنا عن العراق جميعا

أنا والشعر والهوى باتفراق (٢٣)

وقوله :

ما عسى أن تفيد نفسى المساعى

ان قضت بالحبوط فيها الدواعى

انا والحق فى العراق مضاعا

ن ، وما فيه غيرنا بمضاع (٢٤)

٥ - الزهاوى والرصافى :

وقد زاد فى قلق الزهاوى بروز عامل جديد فى حياته هو عامل المنافسة الذى لم يكن يحسه بهذه الحدة وانتشار أمره بين اصحاب الجرائد والمجلات الذين كانوا يريدون اثاره • والناس متى وجدوا ثغرة فى ضعيف جسموها له واستغلوها حسب اهوائهم ورغباتهم • خاصة والزهاوى لم يعد عضوا بمجلس الاعيان وظن المنصب الحكومى يزيد فى تأكيد ذاته وشخصيته، وقد استغلت الجرائد شعر الرصافى وقوته وقارنوا بين الشاعرين ، ولم يكن للزهاوى سند غير شعره الذى لا يضاهى شعر الرصافى وشخصيته التى لا تقوى على مجابهة شخصية الرصافى • فقد كان الرصافى شاعرا شابا قوى الاسلوب ، رصين العبارة ، ضخم الجثة ، مهاب الطلعة ، وكان الزهاوى مريضا ، مشلولا ، ضعيف الاسلوب ، مترجرج الشخصية •

(٢٣) ديوان الزهاوى ص ٣٤٥

(٢٤) ديوان الزهاوى ص ٢٠٢ •

وزاد في قلق الزهاوى ، وضاعف أساء الحركة التي شنها أنصار
 الرصافي على الزهاوى . فقد كتب رفائيل بطى مقالا يمدح به الرصافي
 ويقول بأنه أول من نظم الشعر القصصى ، فيثور الزهاوى الذي لا يرى غير
 نفسه شاعر العراق وعلامته ونابعته فكيف يفوقه الرصافي . فتظهر مقالة
 تهاجم كاتب المقال وتظهر الزهاوى بمظهر السباق وانه أول من نظم الشعر
 القصصى في العراق وتبالغ وتقول انه (أسبق شعراء العرب) والطريف
 ان الناشئة الجديدة عندما تنشر المقال تقول ان الزهاوى أملاه على كاتبه
 وتشتد الحصومة وتكتب عنه قائلة ان الزهاوى دعا الفيلسوف الالماني انشتاين
 الى المباراة و (قواعد المباراة جذبا ودفعاً ورباعيات ، ولا نخال انشتاين
 يتهور فيقدم على هذه المباراة لان تلاوة رباعية واحدة كافية لصرعه في حلبة
 البراز) وقالت ان لجنة الطب الادبي قررت تلقح الجرائد والمجلات بلقاح
 يقينها جرائم الرباعيات ، وتذهب بعيدا في التهكم وتقول ان جامعة اكسفورد
 قررت ترجمة قصيدة الزهاوى الفلكية ليستظهرها الاساتذة المختصون (٢٥) .

ويتصدى محمود احمد ويرجع جميع آراء الزهاوى الى الشعراء
 والكتاب الآخرين ويأتى بأثلة من نظم الزهاوى لآراء كوستاف لوبون ومنها
 (عجبا للحب يخاف الرب والشك ينميه واليقين يميته) فقال الزهاوى :

الحب بالشك يحيا وباليقين يموت

ومن الشريف الرضي في قوله :

ساكت انت والاعادى تقول ومضربك السكوت الطويل

فقد قال الزهاوى :

راحل انت والليالى تزول ومضربك البقاء الطويل

(٢٥) تراجع اعداد الناشئة الجديدة سنة ١٩٢٣ .

وتصدى ابن أخيه ابراهيم أدهم الزهاوى ويدافع عنه ويهاجم
محمود احمد ورفائيل بطي ويتدخل الادباء منتصرين لجانب من الجانبين ،
فتقف مجلة (ليلي) الى جانب الزهاوى ولا تأخر جريدة الامل عن المساهمة
فى المعركة وتؤدى نصيبها منها .

ويصدر الزهاوى مجلة (الاصابة)^(٢٦) قال عنها انها منار للنضال عن
الحق فى العلم والادب وانه ينازل فيها انصار القديم الذى لم تعد فيه فائدة
للامة التى تريد النهوض فى القرن العشرين ، ولن يتساهل أو يراف بمن
يتشيع للباطل وسيصليهم حربا شعواء

وهناك قصص كثيرة من مثل هذه المعارك والمنافسات بين الشعاعين .
كان يتدخل فى اصلاح ذات البين بينهما اخوان الشعاعين والاخيار منهم
ومن ذلك ما قام به الاستاذ محمود صبحى الدفترى مرة اذ جمع بين الاديبيين
وصالحهما .

وقد بقى الزهاوى قلقا يتوقع أن ينال عملا وجل آماله كانت معقودة
على العودة الى مجلس الاعيان غير أن القدر لم يمهلها اذ توفى فى شباط
١٩٣٦ .

رحم الله الزهاوى فقد أتعب نفسه كثيرا ، ولكنه سجل فى لوح
الخلود^(٢٧) .

*PB-39115
5-01T
CC

(٢٦) لم يصدر الزهاوى غير ستة أعداد عدد صفحاتها جميعا (٤٨)
صفحة فقد صدرت فى يوم الجمعة ١٠ ايلول ١٩٢٦ وصدر آخر عدد منها
يوم الجمعة ١٥ تشرين الاول من السنة نفسها .
(٢٧) شخصيات عراقية للاستاذ خيرى العمري .



www.lisanarb.com

NYU - BOBST



31142 02888 7506

STUDIES IN ARABIC LITERATURE

Literary Trends in Iraq

AL-Zahawi - The Restless Poet

Yusuf Izzidein

B. A., M. A., Ph. D.

Faculty of Arts

AL-NAHDAH PUBLICATIONS, Baghdad

1962

طبع الغلاف في مطبعة العامل - بغداد